دار الأرقم ابن أبي الأرقم مقر القيادة - الشيخ جمال الدين سيروان

28-03-2022

الشيخ جمال الدين سيروان

السيرة النبوية - الدعوة السرية (21)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وشفيعنا وقرة أعيننا محمدٍ الأكرم وعلى آل بيته الأطهار وصحابته الأبرار وعمن سار على دربهم في هذه الدار، ربنا إنا نسألك يا أرحم الراحمين أن تجمعنا في هذه الدار إخوانًا متحابين وأن تجمعنا يوم القيامة إخوانًا على سُررٍ متقابلين، اللهم إنا نسألك ببركة ما تلوناه ونور ما قرأناه من كتابك الكريم وذكرك الحكيم أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وذهاب همومنا وغمومنا، اللهم إنا نسألك يا أرحم الراحمين أن تعلمنا وأن تزيدنا علما وأن تجعل علمنا خالصًا لوجهك الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

نحن في الحلقة الحادية والعشرينَ من سيرة حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، في قراءةٍ هادئةٍ نحاول من خلالها أن نتلمس حبيبنا المصطفى عليه الصلاة والسلام ليرسم لنا الدرب ويخُطَّ لنا الطريق ويُعرفنا بحقيقة السبيل إلى رب العالمين، لأن سيرته كما ذكرنا فيما سبق ليست حكايةً تُقص وليست عبارةً عن تاريخٍ يُذكر، إنما هي حقيقةٌ تنزِيليَةٌ لمنهجٍ سماوي، فربنا سبحانه وتعالى جعل المنهج في كتابه المبين وجعل رسوله الأعظم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم رسمًا لهذه الحقائق النظريةِ في القرآن الكريم، فبين النظرية والتطبيق وبين الأحكام والتنزيل، لذلك لما تلمَّسوا سيرته عليه الصلاة والسلام فلا نقرأ سيرة رجل مضى في تاريخ البشر، إنما نقرأ رسالةً تحققت على واقع الأرض، واستطاع عليه الصلاة والسلام في شخصه الشريف وفي من آمنوا معه أن يرسموا هذا الدين بحقيقته الواعيةِ التي تتكرر في كل زمانٍ ومكان، وهذا التكرار لا يعني على الإطلاقِ جمودًا ولا تضييقًا، إنما يعني انفتاحًا وإنما يعني إشراقًا، وهذا لا يكون إلا من خلال

استيعابنا لكيفية تنزيل تلك الأحكام، ولقد رأيناهم رضي الله تعالى عنهم يوم يَتَّبِعُونَ حبيبهم صلى الله عليه وسلم كانت أذهانهم أذهانًا مشحوذةً أذهانًا سائلةً مستفسرةً، والقرآن قد ذكر لكم ويسألونك ويسألونك ويسألونك، وهذا قام عند الكبير منهم والشاب وعند المرأة، فكلهم كانوا يأتون الحبيب صلى الله عليه وسلم ليستفسروا عن هذا المنهج وكيفيةِ تنزيله، ولما كان هذا المنهج مُتَنَزِلًا تدريجيًا مُنجَّمًا، تعلمون أن القرآن نزل مُنجمًا، وقد نزل منجمًا ليعلمنا من أن قضيةَ الدعوةِ إلى الله ومن أن قضية إنشاء الأخلاقِ لا يمكن أن تكون بلمسةٍ سحرية، لابد وأن تكون عوامل التدرجِ هي التي تحكم سياق الأحداث، قضية كن فيكون قضية هي لرب العالمين وسبحانه وتعالى إذا قال لشيءٍ كن فيكون، ولكنَّ الله تعالى لما جعل عباده يقومون بتنفيذ منهجه فإنما علمهم كيف خلق الخلق، فالله تعالى قد خلق الخلق بسنة التدرج، وكما تعلمون في حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم

"إنَّ أحدكم يكون في بطن أمه أربعين يومًا نطفةً ثم يكون علقةً مثل ذلك ثم يكون مُضغةً مثل ذلك ثم يأتي إليه المَلك فينفخ في الروح" إذًا هي عبارةٌ عن تدرجاتٍ في الخلق، أوليس الله تعالى بقادرٍ على أن يخلق الخلق كلهم كما خلق آدم؟ كما خلق سيدنا عيسى من دون أب؟ سبحانه وتعالى قادرٌ على ذلك كله، ولكن علمنا بأنَّ قضية التنفيذ لابد أن يكون فيها سنة التدرج والأخذ بالحكمة ﴿ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ﴾. هي تدرجات، أولًا أن تنتقيَ المكان المناسب والزمان المناسب والشخص المناسب في حكمتك، أن تُنزل كلمتك بحكمةِ هذه المواصفات، ثم أن تختار الموعظة ولكن الحسنة، ثم أن تترك لهذا الذي وعظته المساحة المتألقةَ الفكرية لديه ليستفسر ويسأل، إياك أن تجعله تلميذًا يتلَّقى، اجعله محاورًا معك وفرقٌ بين المحاور أسلوب التحاور وبين أسلوب التلقين، الإسلام لا يُلقنُ تلقينًا، الإسلام إنما يبعث الذهن لأجل أن يستفسر وأن يسأل وأن يكون هو الرائدَ في انتقاء الحقيقة،

﴿فَمَن شاءَ فَليُؤمِن وَمَن شاءَ فَليَكفُر﴾. هكذا جعلها الله عز وجل مساحةً مفتوحةً لأجل الاختبار، لأن الله خلقك مُختبرًا، والمُختبر لا يُلقن المُختبر يُسأل وهو الذي يختار ماذا يجيب، فلا يمكن لمن يَسأل أن يقول له أجب، هل إذا دخل طالبٌ الاختبار فيقول له الأستاذ ما حكم ذلك؟ أجب بذلك هذا ليس اختبارًا هذا إملاء وتلقين وأسلوب مخابراتي، لكن لما يسأله يترك له المساحة الفكرية ليجيب، وإذا أجاب فقد تكون إجابته سديدة وقد تكونُ إجابته غير سديدة يمكن هذا ويمكن ذاك، ولذلك الله تعالى لما خلق الخلق خلقهم وأعطاهم كرامتهم، وكرامتهم حريتهم

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. بتعليمه الأسماء وبأن يختار، أن يختار الصراع بينه وبين الشر، وجعل الشر قائمًا في إبليس، والخير قائمًا في آدم وقام الصراع بين الفريقين وسيبقى إلى قيام الساعة، صراع لابد للخير إلا أن تمتدَّ ساحاته وإلا أن تنطلق أنواره ولكن تحتاج القضية إلى مُصابرة ومثابرة، وأما أن نتصور بأن الخير يمكن أن يأتيَ بطريقٍ هينٍ لين فهذا غير صحيح، لأن الأنبياء والمرسلين أشدُّ الناس بلاءً وهم من أكرم الناس عند رب العالمين، فإذا كان موضوع العطاء من الله تعالى لعباده على حسب كرامتهم فأولى من يُكرَّمون الأنبياء والرسل وسيدهم ورئيسهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أمضاه الله تعالى في سنة التكوين لأجل أن يتحمل العبءَ كأشدِّ ما يتحمله رجل، سواءٌ في الحسِّ أو في المعنى، واحتمل صلى الله عليه وسلم كلَّ تلك البلايا وعديدَ تلكم الرزايا تحملها في شخصه الشريف، حتى في المرض وفي مرضه الأخير عليه الصلاة والسلام ماذا قال؟ "إني لَأوعَكُ كما يوعك سبعةٌ منكم" حتى المرض الحسي الله تعالى

ابتلى حبيبه الأعظم عليه الصلاة والسلام، لأجل أن نعلم بأن الابتلاءات ينبغي أن تعجُم العود وأن تُقويَ الإرادة وأن تُصَّلِب الموقف وأن تجعل الرجولة وأن تدفع للإقدام من دون إحجام، كذلكم يمكن أن نفهم سيرته صلى الله عليه وسلم، لذلك لما كنا تحدثنا فيما يتعلق بقضية التدرج بأن النبي صلى الله عليه وسلم عَقِبَ ما أوحى الله إليه ذلك الوحي الشريف في أول وحيٍ في غار حراء، وجاء للسيدة خديجة وكلُّ ذلك قد مضى معنا سابقًا، وقلنا بأن ما يُسمى بالدعوة السرية قلت إني أتحفظ على هذا المصطلح لأن هذا المصطلح أعطانا شيئًا كثيرًا من الإشكالاتِ في أذهان الناس واستُعمل استعمالات غير سوية ومع أن الأمر لم يكن سِرّيًا، إنما كان أمرًا مُنضبطًا، وفرقٌ بين الانضباط والسرية، السرية عملٌ سريٌ خفيٌ بعيدٌ عن الأعين، لكن ما فعله صلى الله عليه وسلم ضمن الإمكانية الحكيمة التي استعمل فيها الحكمة في كيفية تبليغ رسالته التي كلّفهُ الله بها، فراح يقوم بعمليةٍ انتقائيةٍ كما ذكرنا، فانتقى من هذا المجتمع من يرى بأنه أقرب الناس

استيعابًا لما سيُبَلِّغُهُ إياه، فأول من قامت معه السيدة خديجة بناته الطاهرات سيدنا عليٌ رضي الله تعالى عنه من الغِلمان صديقه الأول أبو بكر الصديق وهكذا توسعت الرقعة، توسعت الرقعة، الرقعة توسعت وكما ذكرت لكم سابقًا بأنه كان هناك إشكالانِ في ذلك أن الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة إنما كانوا من الفقراء والمُهمَلين ومن العبيد والأرِّقاء، وهذا كلامٌ غير صحيحٍ لأن هؤلاء ما كانوا يزيدون على ثلاثة عشرَ رجلًا، ولكنَّ العدد الأغلب إنما كان من كلِّ بطون قريش، ثلاثُ سنواتٍ النبي عليه الصلاة والسلام عبر إلى كلِّ بطون قريش وآمن معه نخبةٌ من هؤلاء، هؤلاء هم الذين جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأرض الفسيحةَ المُنبتَةَ الغزيرةَ التي يستطيع التحرك من خلالها إلى ما سنأتي عليه في موضوع الدعوةِ المسمِّية الجهرية، أيّ هيَ مراحل، قلنا مرحلةٌ فكانت الدعوةُ فيها متطامِنةً ليست واضحةً فاقعةً، إلى دعوةٍ أخرى بصوةٍ مفتوحٍ وبوسائل إعلاميةٍ جديدةٍ، هناك الوسائل الإعلامية التي استعملها

الرسول صلى الله عليه وسلم وسائل الاتصال وسائل اتصال شخصي وسَّع الرقعة من ذاته إلى من آمن معه في الحزمة الأولى، وطلب من هؤلاء أن يختاروا من يدعونه، ثم بعد ذلك لما رأى بأن عنده مساحةً يستطيع من خلالها الحركةَ بشكلٍ أوسع فانطلقَ عليه الصلاة والسلام إلى دعوته الجهرية.

الشيخ جزاه الله خيرًا المصنف الذي نقرأ كتابه لابد أن نستفيد منه فيما بذل من الجهد جزاه الله خيرًا، فبقول دار الأرقم بن أبي الأرقم كانت هي مقر القيادة، هنا أحيانًا مع كل الانضباطيات إلا أن يحصل بعض من التصرفات من ردود أفعال، فلا يضبط الإنسان تصرفه أحيانًا أمام ما يأتيه من ضغوط، ولكن الأصل هو الانضباط، يشفع لهذا الإنسان بعدم انضباطه حسن نيته وسلامةُ مقصده، ولكن التصرف لا يكون حكيمًا، هنا نقول دار الأرقم بن أبي الأرقم تذكر كتب السيرة بأن اتخاذ دار الأرقم مقرًا لقيادةِ الرسول صلى الله عليه وسلم كان بعد المواجهة الأولى التي برزَ فيها سعد ابن أبي وقاس، قال ابن إسحاق: كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشِعَاب فاستخفوُا بصلاتهم عن قومهم، يعني النبي عليه الصلاة والسلام قال لهم: لا يصلح الآن أن نخرج ونصليَ في الكعبة ، لأننا سنُثيرُ هؤلاء بما ليس به فائدة نحن نريد الآن أن نُكَوِّنَ هذه المجموعة التي تستطيعُ إدراك ما نقوله لهم، لأن هذه العقول إنما استُعبِدت واستُرَّقت من خلال

التقاليد الاجتماعية ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾. وهذا اقتلاعه أمرٌ عسير ليس يسيرًا، وأنكم ستلحظون في كلِّ مجتمعٍ بأننا نحن عندنا فقه العاداتِ التي قامت في الناس اليوم تغلب فقه العبادات، عادات اتخذها الناس وليست من الدين ولكنهم اتخذوها وظنوها دينًا اقتلاعها من أذهانهم أمرٌ مُرّ، أم البراء بالأمس قامت بعمرة مع جاراتها فتأتي إحدى جاراتها وتطرق الباب عليها أرجوكِ أرجوكِ نسيت أنا أن أكلفك بأن تقُصِ ليَ الشعر، طيب يا أختي قُصِّ الشعر أنتِ تتحلل قالت لا يجوز أنا أن أقوم بهذا الأمر، أخذوا هذه الطريقة وكذلك في الحج دائمًا لما نخرج الناس يعني يأتون إلينا وكأنهم هم المعلمون لنا، أنه يا شيخ كيف هاد الكلام

ما يجوز يا أخي هيك منعرف نحن لا يجوز للواحد أن يتحلل بنفسه لابد أن يُحلله آخر، عادات غلبت العبادات بمفاهيم الناس، فكذلك كان الأمر في كل بيئةٍ وكل مجتمع تقوم العادات فتتحكم في الناس، لذلك تغييرُها أمرٌ يحتاج إلى وقت إلى زمن إلى محاورة إلى صبر ومُصابرة ومُثابرة، يعني سيدنا نوح عليه السلام ماذا فعل مع ابنه وهو يُحاوره؟ 800 سنة 900 سنة هو بُعث 950 سنة يا ترا هذا الابن الكريم كم كان عمره؟ وكم سنة بقي أبوه يصبر عليه؟ وإلى آخر لحظة يحاول الصبر عليه ﴿يا بُنَيَّ اركَب مَعَنا﴾. وهو يعاند ﴿سَآوي إِلى جَبَلٍ يَعصِمُني مِنَ الماءِ﴾. هذا كله تجارب قرآنية لأجل أن نفهم السيرة النبوية، وهذه القصص التي يذكرها الله تعالى في القرآن ليست من باب أن يَقُصَّ علينا حكايات، إنما من باب أن نفهم كيفية سيرورةِ الدعوة إلى الله وأن هؤلاء الأنبياء والمرسلين إنما جعلهم الله تعالى قدوةً، ويُمثلهم في المُجمل الرسول المصطفى صلى الله وسلم وبارك عليه.

فبقول سيدنا سعد بن وقاص رضي الله تعالى عنه وسعد من قبيلة خؤولة النبي عليه الصلاة والسلام، ارمي سعد فِداك أبي وأمي وما فدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه إلا سعدًا رضي الله تعالى عنه، فسعد من أوائل الذين أسلموا رضي الله تعالى عنهم، فيقول لما النبي عليه الصلاة والسلام قال لهم توزعوا لا تصلوا لا تُثيروا الناس فذهبوا إلى شِعب من شِعاب مكة إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين وهم يُصلون فناكروهم، المناكرة التي تقوم ما بين الفريقين، أي فريقين متخالفين في الفكرة متخالفين في الاتجاه يكون بينهما شيءٌ من المحاورة ثم المناورة ثم المُكالمة ثم الملاكمة درجات، فبدأت النظرات وبدأت التحديات هؤلاء الشباب وهؤلاء شباب، فناكروهم وعابوا عليهم زاد الأمر صعَّدوا المخالفات وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، جاءوا إليهم لأجل أن يمنعوهم من ممارسة صلاتهم فسعد سعد رضي الله تعالى عنه، فضرب سعد ابن وقاص يومئذٍ رجلًا من المشركين بلحي بعيرٍ فشجّه خلص طلعت معه الحكاية، يا سيدنا سعد هذا رجل يعتدي علينا ويقول عنا

ضِعاف، لكن هذا ليس في حال الانضباط، في حال الانضباط عليه الصلاة والسلام وقف ليقول لثلاثةٍ يُعذبون أمام عينه وقلبه يتفطّر وعيناه تدمعان صبرًا آل ياسر إنَّ موعدكم الجنة، المرحلةُ لا تقتضي مني أن أساعدكم، لأن رسالتي المستقبلية تقتضي أن أكون صابرًا ومثابرًا، وأنتم كأنَّ الله تعالى يُوريني بأنكم ستكونون من أهل الجنة ولن تحظوا برؤية الإسلام منتشرًا، صبرًا آل ياسر ما قال لهم إنكم سترون الإسلام منتشرًا، إنَّ موعدكم الجنة هناك في الجنة نلتقي وأنتم هذه المرحلة مرحلةُ مصابرة صلى الله وسلم وبارك عليه، إذًا هذه التدرجات التي تقتضي منا التفكر والتأمل كيف نعمل؟ كيف نتحرك في أي مجتمع؟ كيف ندعوا الآخر؟ كيف نصبر عليه صبرًا طويلًا؟ ينبغي أن تصبر لابد أن تصبر، والذين صبروا من عباد الله الصالحين صبروا فأعطاهم الله تعالى الثمرات، لذلك بقول هنا فكان أول دمًا أُريق في الإسلام، يعني أول معركة قامت ما بين المسلمين وغيرهم، فأصبحت دار الأرقم السرية، كما قلنا السرية هذه في تحفظ عليها، لا دار الأرقم بن أبي الأرقم

رضي الله تعالى عنه، والأرقم بن الأرقم كما قلنا كان عمره ستةَ عشرَ عامًا، فالنبي عليه الصلاة والسلام لما كانوا يأتون عند بيت السيدة خديجة ورأى بأنَّ البيت انشغل وأصبح معروفًا خلينا نروح لبيت آخر راحوا لبيت الأرقم، وغير متوقع بأن يكون هذا الأرقم الشاب الذي عمره ستةَ عشر عامًا الذي ربما استدعاه سيدنا علي بن أبي طالب لأنه قريب من سِنه فأقنعه بذلك، أنه النبي عليه الصلاة والسلام جعل خديجة تمتد يعني صديقاتها بنات النبي عليه الصلاة والسلام إلى صديقاتِهِنَّ سيدنا أبو بكر الصديق إلى أصدقائه النبي عليه الصلاة والسلام إلى من يعرفهم وهكذا توسعت الرقعة. الآن وبعد هذا كله، النبي صلى الله وسلم وبارك عليه يذكر لنا الشيخ الله يجزيه الخير بعضًا من المواصفات في أهم خصائص الجماعة الأولى التي تربت على يد الرسول عليه الصلاة والسلام، بأنه هؤلاء رضي الله تعالى عنهم أكرمهمُ الله تعالى بإكرامٍ لابد إلا أن نأخذ من هذه المواصفات على جناح السرعة، فبقول الاستجابة الكاملة للوحيِ وعدم التقديم بين يديه، يعني هم آمنوا من

خلال عقولهم وأسلموا عقولهم لما ينقله لهم رسولهم صلى الله عليه وسلم، هم بعد أن حقَّقوا بعقولهم أنَّ الذي يقوله صلى الله عليه وسلم هو حق، لأني قلت لكم بأن أولَ آيةٍ أُنزلها الله على الرسول صلى الله عليه وسلم هي آية العقول، وليست آيةُ النقول، آية التفكير وليست آية الأوامر ﴿اقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ﴾. روح اقرأ، والقراءة تقتضي العلم والمعرفة والعقل والتفكرَ والتدبر، اقرأ قرؤوا وجدوا كلامَ النبي صلى الله عليه وسلم لما يُحدِّثهم بالعقل أمر صحيح، لذلك رضي الله تعالى عنهم صاروا يُسلِّمون له فيما ينقله عن ربه سبحانه وتعالى، فإذًا تبدأُ بعقلك ثم تستسلمُ إلى النقل بقلبك ولُبِّكَ وروحك، لذلك كانوا يتقبلون القرآن قَبولًا، الآية ينتظرونها انتظارًا وإذا ما نزلت الآية على صدورهم تكون بلسمًا وشفاءً رضي الله تعالى عنهم، فاستجابتهم كانت كما قال الله تعالى في القرآن ﴿وَلَقَد ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُم قُلوبٌ لا يَفقَهونَ بِها وَلَهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرونَ بِها وَلَهُم

آذانٌ لا يَسمَعونَ بِها أُولئِكَ كَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الغافِلونَ ۝ وَلِلَّهِ الأَسماءُ الحُسنى فَادعوهُ بِها وَذَرُوا الَّذينَ يُلحِدونَ في أَسمائِهِ سَيُجزَونَ ما كانوا يَعمَلونَ ۝ وَمِمَّن خَلَقنا أُمَّةٌ يَهدونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعدِلونَ﴾. الآيات عجيبة ربي عز وجل يقول ﴿وَلَقَد ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ﴾. يعني الله تعالى خلق جهنم لمآلاتٍ وليست لِعلةٍ

يعني ليس الله تعالى خلق جهنم عِلةً لوجود هؤلاء لا، في عندنا لام نُسميها لام العاقبة ولام نسميها لام العلّة، فَلام التعليل ولام العاقبة والصيّرورة و المآل والمصير ﴿فَالتَقَطَهُ آلُ فِرعَونَ لِيَكونَ لَهُم عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾. ما التقطوه ليكون عدوًا وحزنا ﴿قُرَّتُ عَينٍ لي وَلَكَ لا تَقتُلوهُ عَسى أَن يَنفَعَنا أَو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾. التقطوه لذلك هذه العلّة، فأنت تقول مثلًا جئتك لتنصحني هذه علّة تعليل لماذا جئتني؟ لتنصحني لتُعينَني، فإذا به عِوضًا أن يُعينه إنما خطَّط له ليوقعه في بعض من الانحرافات، فجاءه ليقول له جئتك لتفضحني، جئتك لتُعكر جوي هذه لام ماذا؟ هذه لام العاقبة وليست لام العلّة لاحظتم، لذلك ﴿لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلًا﴾. علة، ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾. عاقبة ليست علّة ﴿وَما خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ﴾. ليست علّةً، لأنه إذا كانت علّة ما كانَ لأحدٍ أن يتخلف عن عبادةِ الله، وبصير متل الأنعام ومتل بقية المُكَوَنَاتْ، لكن لما قال ﴿فَمَن شاءَ فَليُؤمِن وَمَن

شاءَ فَليَكفُر﴾. إذًا هذا علَّته إنما هو الابتلاء ﴿لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلًا﴾. هذه اللام لام العلة خلقك ليبتليكَ، فلما يأتي الأستاذ ويعرف من خلال فصله الدراسي المجدينَ ويعرف المتكاسلين، فيقول لهم: لو أني الآن أردت أن أعطيكم النتائج الاختبار لأعطيتكم إياها، هل يعلم بالغيب؟ يعلم الواقع من خلال تجربتهِ مع هؤلاء فسيقول عشرة سينجحون وخمسة سيرسبون، لكن لابد من الاختبار، فالله سبحانه وتعالى عليم، عليمٌ بهؤلاء ما سيفعلون، ولذلك لابد أن يكون هناك رسوبٌ ونجاح، ولابد للنجاح أن يكون في فصل والرسوب يكون في فصل، فاللي نجحوا في الجنة واللي رسبوا في النار هكذا القضية ﴿وَلَقَد ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُم قُلوبٌ لا يَفقَهونَ بِها وَلَهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرونَ بِها وَلَهُم آذانٌ لا يَسمَعونَ بِها أُولئِكَ كَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ﴾.

فربنا سبحانه وتعالى لما قال هذا الكلام في هذه الآية الكريمة لأجل أن يقول لنا بعد ذلك ﴿أُولئِكَ كَالأَنعامِ﴾. يشبهون الأنعام من وجه، ويُخالِفونها من وجهٍ آخر، كيف يشبهون الأنعام في وجه؟ يشبهون الأنعام من وجه بأنهم ليس للأنعام مع أن عندها آذان تسمع، وعندها أعين تُبصر، لكنها ليست وسائل إدراكية كما جعلها الله تعالى في الإنسان، والله جعل هذه الآذان وهذه الأعين في الإنسان وسائل إدراك، التي هي وسائل التكليف، لما ربنا سبحانه وتعالى قال ﴿هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾. جعل لكم سمع وأبصار وأفئدة هذه أدوات الإدراك هذه أدوات إدراك، فأنتم تشتركون بأدوات لكن ما خلقناها لتُدرك معهم، إنما جعلناها في فطرتهم يمشون في هذه الفطرة أو تمشي هذه الأنعام بفطرتها تأكل تشرب تتناسل بالفطرة، أما أنتم بالاختيار، هذا الاختيار هو الذي من خلاله يكون فيه الحساب، إما مسيءٌ وإما مُحسن نعم، لذلك الله تعالى قال ﴿أُولئِكَ كَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ﴾. فالأنعام تمشي في

سِرْوَلَتِهَا التي خلقها الله تعالى عليها، أما هؤلاء خالفوا ما جعله الله تعالى فيهم ﴿أُولئِكَ كَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الغافِلونَ﴾. غفِلوا عما أنعم الله به عليهم من نعمة الإدراك، فوقعوا في فخٍ وهو فخُّ الغفلة ﴿وَلِلَّهِ الأَسماءُ الحُسنى فَادعوهُ بِها﴾. لذلك أبو جهل لما سمع المسلمين يقولون بسم الله الرحمن الرحيم قال وما الرحمن؟ أنكر اسم الرحمن، هذه أسماء الله الحُسنى ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾. ادعوه بها سواءً بالدعاء الذي ندعوا الله به أو بالدعاء الذي يمكن أن نتفكرَ في كلِّ اسمٍ من أسماء الله تعالى، وأن نَتَصِفَ بهذا الاسم من حيث العبودية، فبالرحمة نكون رحماء، وبالجبروت الجبار إنما نكون خائفين خاشعين، أدعوا الله تعالى بأسمائه الحسنى كلها، وبالتواب توبةً، وبالغفّارِ استغفارًا. ﴿فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾. الإلحاد هو الميل، ذروا هؤلاء الذين يريدون أن يأخذوا أسماء الله الحسنى إلى غير مَنَاطِها. ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ثم يقول الله تعالى ﴿وَمِمَّن خَلَقنا أُمَّةٌ يَهدونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعدِلونَ﴾. هذه أمةُ النبي صلى الله وسلم وبارك عليه، لذلك ورد في بعض الآثار يقول سيدنا قتادة: بلغني أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قرئ هذه الآية، هذه لكم وقد أُعطيَ القوم بين أيديكم مثلها ﴿وَمِن قَومِ موسى أُمَّةٌ يَهدونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعدِلونَ﴾. هناك كانوا في تلك الفترةِ تلكم الأمةَ التي تهدي للحق في تلك الفترة، لكن الفترة الأخيرة التي جعلها الله تعالى في خاتمةِ الرسالات هي فترةُ أمةِ المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام نعم. كذلك يقول بعد ذلك التأثر الوجداني العميق بالوحي والإيمان، فكانوا يتتبعون ويتعقبون نزول القرآن ويسألون الله كما سأل سيدنا عمر رضي الله عنه ربه سبحانه وتعالى اللهم يا ربي أنزل آيةً في الحجاب أنزل آيةً في الخمر فالله سبحانه وتعالى أكرمهم بذلك، كذلك يقول شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وأثرها في صناعة القادة، بلا شك أن شخصية

الرسول عليه الصلاة والسلام يعني هؤلاء الذين أكرمهم الله تعالى بأن يكونوا بين يدي المصطفى عليه الصلاة والسلام وما جَبَلَ الله رسوله الأعظم عليه الصلاة والسلام من حسن الخلق الذي استطاع صلى الله عليه وسلم أن يجتذب فيه العدو قبل الصديق، فحتى كل الذين كانوا بين يديه قبل الإسلام كيف كانوا يشهدون للنبي عليه الصلاة والسلام بأنه الصادق الأمين، وكيف أنَّ السيدة خديجة اختارته من بين جميع من تقدم عليها رضي الله تعالى عنها، وكيف أنه لما عرض كما سيأتينا نفسه عليه الصلاة والسلام عليهم ماذا قالوا؟ ما جربنا عليك كذبا، إذن الصحابة رضي الله عنهم لما رأوا صياغة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتعامله مع الآخر وكيفيةَ هذا التعامل، فهذا إنما كان رحمةً لهم ما كانت لسواهم، لذلك الصحابة رضي الله عنهم لما نقول بأنهم نسيج وحدهم فهذا حق لا يمكن أن يُكرَروا، لأنه ليس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم رسول وليس هناك من أحدٍ يمكن أن يجتمع مع المصطفى صلى الله وسلم وبارك عليه، فما شرَّف الله به أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم فهذا أمرٌ وهبيٌ لا كسبيّ لا يمكن أن يُكتسب هذا أمرٌ وهبي، شرَّف الله هؤلاء الرجالَ رضي الله عنهم من مهاجرين ومن أنصار من رجالٍ كبار من صغار من نساء شرفهم الله تعالى بهذا الشرف العظيم الذي هو المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ثم بعد ذلك يقول لنا أيضًا أنه ماذا كان يقرأ الصحابة ماهي المادة الثقافية التي يتداورونها كان القرآن، القرآن يتداورونه تنزيلًا فهمًا وعيًا قراءةً حفظًا، ولذلك سيدنا سعيد ابن زيد ابن الخطاب يعني سيدنا سعيد ابن زيد من هو؟ ابن عم سيدنا عمر بن الخطاب وهو صِهر سيدنا عمر زوج أخته فاطمة بنت الخطاب، فسعيد ابن زيد رضي الله تعالى عنه، كذلك سيدنا خباب ابن الأرت يجتمعون، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يُحَلِّقَهم مجموعةً مجموعة مَن عنده معرفةٌ يعطي من كان دونه في المعرفة وهكذا كانوا يتتبعون ما أنزل الله سبحانه وتعالى رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وكما ذكر هنا سبب اختيار دار الأرقم، قلنا بأنه رضي الله تعالى عنه كان ابن السادسة عشرةَ، وهنا يعني يأتيني ملمَحٌ هامٌ جدًا كيف اختار النبي عليه الصلاة والسلام دار الأرقم؟ ويبدوا أنَّ هذا الأرقم رضي الله تعالى عنه عنده من الرجولة ما له دار، ابن السادسة عشرَ له دار، شيءٌ عجب ابن ستةَ عشر عامًا يستقبل دار الدعوة، والمصطفى عليه الصلاة والسلام لتكون داره منارةَ

التوحيد، شيءٌ لو فكر الإنسان به يقف حِيالَه في صدمةٍ كبرى كيف صاغ الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الشخصيات جميعًا؟ كيف استطاع أن يصوغَ شخصيةً كأبي بكر؟ وكيف استطاع أن يؤثر في خديجة؟ عينات صعبٌ جمعها ربما يبرع الإنسان في خطاب الكبار وآخر في خطاب النساء وثالثٌ في خطاب الشباب ورابعٌ في خطاب الشيوخ، أما المصطفى صلى الله وسلم وبارك عليه فقد آتاه الله جوامع الكَلِم وحلّاه الله سبحانه وتعالى بأكرم الصفات، وإذا بهذا الشاب الجليل العظيم سيدنا الأرقم أن تكون داره دار الأرقم التي ستبقى إلى قيام الساعة المنارةَ الأولى بعد بيت السيدة خديجة، يعني انتقال من غار حراء إلى دار خديجةَ إلى دار الأرقم، ومِن دار الأرقم إلى الدعوةِ في كلِّ إعلاناتها وبكل أسرارها نعم.

فهذا الأرقم رضي الله تعالى عنه وأرضاه، والأرقم ابن أبي الأرقم رضي الله تعالى عنه، أيضًا النبي صلى الله وسلم وبارك عليه إنما اختاره لأنه ليس من بني هاشم ليس من بني هاشم وشاب ولا يخطر ببالهم أنه هناك، يعني حاول صلى الله عليه وسلم أن يُخفف من الاستفزازِ بأقصى ما يستطيع، لابد أن يعمل ولكن بتخفيفٍ من عمليات الاستفزاز، حاول ألا تستفزَّ أحدًا، أنت ليست مهمتك استفزاز الآخر، مهمتك أن تدعُوَهُ بالحسنى، هذا ما كان يُعلمنا إياه الرسول صلى الله وسلم وبارك عليه. ومن صفات الرعيِّ الأول رضي الله تعالى عنهم هو التقيد والالتزام رضي الله تعالى عنهم، ولذلك الله سبحانه وتعالى كرَّمهم وقال، لكن هذا تكريمٌ لهم من طرف، وتكريمٌ لنبي عليه الصلاة والسلام في الأصل ﴿وَاصبِر نَفسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدعونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ وَالعَشِيِّ يُريدونَ وَجهَهُ﴾. هذا تكريم لهؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، بأنَّ الله تعالى قد وصفهم بهذه الأوصاف ﴿وَاصبِر نَفسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدعونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ وَالعَشِيِّ يُريدونَ

وَجهَهُ وَلا تَعدُ عَيناكَ عَنهُم تُريدُ زينَةَ الحَياةِ الدُّنيا وَلا تُطِع مَن أَغفَلنا قَلبَهُ عَن ذِكرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمرُهُ فُرُطًا ۝ وَقُلِ الحَقُّ مِن رَبِّكُم فَمَن شاءَ فَليُؤمِن وَمَن شاءَ فَليَكفُر إِنّا أَعتَدنا لِلظّالِمينَ نارًا أَحاطَ بِهِم سُرادِقُها وَإِن يَستَغيثوا يُغاثوا بِماءٍ كَالمُهلِ يَشوِي الوُجوهَ بِئسَ الشَّرابُ وَساءَت مُرتَفَقًا﴾. لكن هنا واصبر نفسك فيها ملمح أولًا أنَّ الله سبحانه وتعالى يعطي الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المكانةَ العظمى بأن يكون معهم قلت في علم الإدارة، أعطانا ربنا سبحانه وتعالى إشارةً إلى أنَّ المدير ينبغي أن ينغمس مع المُدار، وأن لا يُلَّقِنَه بل أن يستخرج منه ما عنده من طاقاتٍ وإمكانيات، وقلنا فيما سبق بأنه الإدارة الحديثة ماذا تقول؟ المدير الناجح يقول ماذا يقول؟ أعملُ معكم أم تعملون معي؟ أعمل معكم هذا المدير الناجح، القائد المدير الرائد هذا لا يمكن أن يكون مستأسدًا، إنما يكون مُتَعاوِنًا ﴿وَتَعاوَنوا عَلَى البِرِّ

وَالتَّقوى﴾، ﴿وَاصبِر نَفسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدعونَ رَبَّهُم﴾. فهذه إشارة إلى عظمةِ المصطفى في كيفية الإدارة، وإلى أن هؤلاء المُدارين رضي الله تعالى عنهم كانوا بهذه المواصفات التي ذكرها الله تعالى عنهم، هذه صفات أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، والكلام يطول إذا أردنا أن نتحدث عن هذه الآيات لكن نمر عليها على جناح السرعة، ثم من أوصافهم رضي الله تعالى عنهم أنهم ﴿يَدعونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ وَالعَشِيِّ﴾. أيضًا ما آتاهم الله تعالى من هذه المواهب ما كانوا ليتكئوا عليها، بل كانوا يلجؤون إلى الله ﴿يَدعونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ وَالعَشِيِّ يُريدونَ وَجهَهُ﴾. وهذا هو عمل اللجوء إلى الله، لابد من اللجأ إلى الله في كل لحظة، إياك أن تتكِئ على جهدك، أبذل جهدك في أقصاه، ولكن إياك أن تظن بأنَّ الجهد هو الذي يُنجح أمرك، لابدَّ إلا أن تقول ﴿وأُفَوِّضُ أَمري إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصيرٌ بِالعِبادِ﴾. فأنت عبدٌ وهو ربٌّ، وأنت مخلوقٌ وهو خالق، وأنت ضعيفٌ وهو قوي، وأنت فقيرٌ وهو غني

وأنت مذنب وهو غفّار، فلذلك ارفع كفيك دائمًا إلى الله يا ربِّ ألهمني رشدي وأعذني من شرور نفسي، حتى تستويَ إلى سواء الطريق، اللهم اجعلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

كذلك من جملة الآية هنا يقول لك ﴿وَلا تَعدُ عَيناكَ عَنهُم تُريدُ زينَةَ الحَياةِ الدُّنيا﴾. وحاشاه صلى الله عليه وسلم، لكن ربما يلوح في الأفق بعضٌ من مظاهر الدنيا قد تستحوِذُ على الذهن، فإياك أن يصرفك عن درب الخير شيءٌ من شهوات الدنيا ومن زينتها إياك ﴿وَلا تَعدُ عَيناكَ عَنهُم تُريدُ زينَةَ الحَياةِ الدُّنيا﴾. إنما سيكون الأمر كله مرهونًا بهذه المحبة لربنا سبحانه وتعالى. ثم يقول لنا آخر ما يقول هنا انتشار الدعوة في بطون قريشٍ وعالَمِيَّتُها، فهنا سأقرأ بعضًا مما قال، فيقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة ست سنوات إنما استطاع الغوص في بطون قريشٍ بل في قبائل العرب، فبقول وسأقول ما ذكر الرجل يقول المصنف جزاه الله خيرًا: ولعلَّ هذا الانفتاح المتوازنَ على الجميع أعانَ في انتشار الإسلام في العشائر القرشيةِ العديدة، دون تحفُظاتٍ متَّصِلَةٍ بالعصبية، فأبو بكر الصديق من تيم وعثمان ابن عفان من بني أمية والزبير ابن العوام من بني أسد ومصعب من عمير من بني عبد الدار وعليٌّ ابن أبي طالب من

بني هاشم وعبد الرحمن ابن عوف من بني زُهرة، أجداد النبي صلى الله عليه وسلم وأخواله، وسعيدُ ابن زيد من بني عَدي سيدنا عمر، وعثمان ابن مظعون من بني جُمح، بل إنَّ عددًا من المسلمين في هذه المرحلة لم يكونوا من قريش، فعبد الله ابن مسعود من هُذَيِل وعتبةُ ابن غزوان من مازن وعبد الله ابن قيسٍ من الأشعريين من اليمن، وعمار ابن ياسر من عنس بن مذحج وزيد ابن حارثة من كلب والطفيل ابن عمرٍ من دوس وعَمر ابن عبسةَ من سليم وصهيبٌ النمريُّ من بني نَمر بن قاسط، لقد كان واضًحا أنَّ الإسلام لم يكن خاصًا بمكة، هذا كله هذا التكوين الذي أقوله لكم أين كان؟ في الدعوة السرية، لا هذه في الدعوة النوعية المرحلية، في الدعوة الانتقائية الرمزية، في غوصٍ في هذه القبائل وفي انتقاءِ شخصياتٍ نادرة، وكلٌ من الأسماء التي ذكرناها له في تاريخ الإسلام عجائب وغرائب، هؤلاء الذين استندَ النبي صلى الله عليه وسلم بشريًّا عليهم، وهنا يُعملنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنَّ الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نعمل بعالم السبب، السبب أن

نُتقِنه، هنا النبي عليه الصلاة والسلام أتقن الأسباب وعرَف كيف تكون المداخل والمخارج، فهنا جاء إلى هذه الشخصياتِ فأتقنَ صياغتها وصناعتها صلى الله عليه وسلم، وأخرجها نماذج فريدة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، فكانوا درَّةً من الدرر رضي الله تعالى عنهم وما زالوا دُرَرًا وإلى يوم القيامة على هذا الأساس.

إذن نحن تقريبًا نقول أنه انتهينا من هذه الفِقرة المتعلقة بالدعوة السرية، ولعلكم تقرؤون أنتم وحدكم البناء العقدي في العهد المكي وأنَّ فقه النبي عليه الصلاة والسلام في التعامل السنن وقد أشرنا إليه، ثم يذكر لنا أيضًا بعد ذلك قضايا تتعلق بما يتعلق بقضية تصحيح الاعتقاد بما كان هناك، لأنه هناك الاعتقاد كان التزويرات التي جعلوها، مثلًا جعلوا المَناة من المنَّان، جعلوا العُزّة من العزيز، يعني نحتوا من أسماء الله عز وجل أصنامًا لتُقربهم إلى الله تعالى زُلفة، فعِوضًا عن العزيز سبحانه وتعالى قالوا العُزّة، عوضًا عن المنّان مناة ثالثةً أخرى، يعني هؤلاء أرادوا أن يُلحِدوا في أسماء الله تعالى، فالله تعالى أمر أن ندع هؤلاء الذين يُلحِدون في أسماء الله سبحانه وتعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. بعد ذلك الله تعالى صاغ أيضًا في عالم الشهادة وفي عالم الغيب، فالصحابة الذين صيغوا في ثلاثة عشرَ

عامًا لم يُكلَّفوا بأكثر من أن تتفتح عقولهم لقراءة الواقع، وقراءةِ سنن الله تعالى في الأرض، والاستسلام للنقل الذي يأتي في عالم الغيب، لذلك كانت الآيات المكية معنيةً بالجنةِ والنار، وأنتم لما تقرؤون في القرآن المكي ستجدون التأكيد على النار وعلى الجنة وعلى مصير الجاحدين وعلى مصير المؤمنين، وهذا كله من عالمٍ غيبيٍّ، فإذًا إنَّ الله تعالى إنما صاغ هذه الشخصيات التي كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في عالم عقلٍ مُتفتّح، وفي عالم نقلٍ غيبيٍّ مطلقٍ يأتيه هذا المؤمن بعقله المُشرق مع فهمه المُغدِقِ مع إيمانه المُحقَّقِ مع هذا الغيبِ الذي يؤمن به دون أن يكون عنده أيُّ إشكالٍ فيه، لذلك كان موضوع الجنة والنار وما أفضى ما يُعطاه أهل الجنة وأكثر والعياذ بالله ما ينال أهل النار نسأل الله تعالى أن يهدِيَنا سواء الصراط بفضله وإحسانه ومَنِّه وجوده.

بعد ذلك يقول لنا حتى أنتهي من القصة حتى أصِلْ إن شاء الله وإياكم في الدرس القادم إلى المرحلة في الجهر في الدعوة، فيذكر البناء التعبدي والأخلاقي في العهد المكي، فالعهد المكي كان كما قلنا بناءً عقديًّا، بناءً فكريًّا، بناءً غيبيًّا، ولكن ليس تغيُّبيا بناءُ غيبٍ على عقلٍ، لأنَّ العقل أفضى إلى النقل، وحينئذٍ استسلم العقلُ للنقل، لكنه قبل أن يستسلم للنقل إنما اختار بالعقل، فإذًا هذه مراحل، ثم بعد ذلك كانت الصياغات الخُلقية التي كان عليه الصلاة والسلام رمزها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ﴾. وكذلك تأدّب أصحابه الكرام بأخلاقه الشريفة صلى الله وسلم وبارك عليه، ثم بعد ذلك النبي صلى الله وسلم وبارك عليه إنما كان يعطيهم من خلال صفاته الحكمةَ في التصرف والكرم في العطاء

صلى الله عليه وسلم وهنا ننتقل إن شاء الله إلى الجهر بالدعوةِ بإذن الله تعالى إلى درسٍ قادمٍ بإذن الله، بارك الله لكم وبكم وعليكم وجزاكم الخير وأحسن إليكم وأسأل الله تعالى أن يجعل لنا حظًّا وافرًا ونصيبًا كاملًا من محبته صلى الله عليه وسلم ومن الاقتداء بسيرته الشريفة وأن نجعل سيرته عنوانَ تغييرٍ في حياتنا ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم﴾. جزاكم الله تعالى خيرًا.

أسئلة

سؤال من أحد الحضور: سيدي البناء اللي ذكرتوه البناء الغيبي والعقدي والعقلي اللي كان بالفترة الأولى شو كانت المادة تبعوا يعني لماذا نحن ما لم يصل لنا كثير من الأخبار عنه؟

الجواب: لا وصلنا، نحنا إذا قرأنا قرآن مثل ما لاحظنا الآن ﴿وَلِلَّهِ الأَسماءُ الحُسنى فَادعوهُ بِها﴾.

هذا بناء عقدي ولا لا؟ بناء عقدي، وبناء تفصيلي وتفكيكي وتحليلي لِما كان قائمًا في ذلك المجتمع من تلك التوهمات التي كانوا يعيشون صراعها، وهي الأوثان التي يعبدونها لتقربهم إلى الله تعالى زلفا، والله تعالى يقول لهم: ﴿وَذَرُوا الَّذينَ يُلحِدونَ﴾. لكن كلمة ذروا هذه ما جاءت إلا بعد ما فتحوا عقولهم، فالصحابة رضي الله تعالى عنهم فتحوا عقولهم، وانطلقوا من خلال فهمهم لوحدانيةِ الله سبحانه وتعالى، بعد أن غُيِّبوا عنها من خلال العادات الاجتماعية التي حكمت عليهم بأن يكونوا مقدسيين لهذه الأصنام وهاتيكم الأوثان، إذن هي رحلة طويلة تحتاج إلى أبحاثٍ مطولة، وهذا يقتضي أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان بهذه الفترة يقوم بهذه المحاورات التي يحاور فيها أولئك، ولعلنا إذا استعرضنا القرآن المكي نجد بأنها دروسٌ طويلةٌ، لكيفية المحاورات بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، وكيف كانوا يأخذون العظم ويفتّونه ويقولون كيف يمكن أن يكون هناك جنةٌ ونار؟ وكيف يمكن أن يكون هناك بعث؟ وكيف يمكن أن تُحيا هذه العظام؟

كلٌّ هذا أليس في القرآن الكريم؟ إذن هذه محاوراتٌ قائمةٌ بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، وقد سجل القرآن لنا بعضًا طبعًا مما دار، لكن إشارات إلى ما كان يدور، أي إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بهذه المحاورات وتلك المُداورات على مدار اليوم، فيقوم بأولئك يسدُّ خللهم ويُبين عَورهم، ويعطي للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم المدد في النقاء الفكري، وفي الاستعداد لأجل المحاورة المبنية على استدلالات، ولعلنا نرى القرآن، القرآن المكي كيف كان دائمًا يشير إلى ﴿أَفَلا يَنظُرونَ إِلَى الإِبِلِ كَيفَ خُلِقَت ۝ وَإِلَى السَّماءِ كَيفَ رُفِعَت ۝ وَإِلَى الجِبالِ كَيفَ نُصِبَت﴾. كل هذه الآيات التي تدعونا إلى النظر إلى ماذا تدعوا هذه الآيات؟ إلى هذا الحوار لاحظت يا سيدي.

سؤال من أحد الحضور: هل هذه قضيةٌ مرحليةٌ قامت في عهدٍ ما وانتهى أمرها؟

الجواب: هذا كلام لا يمكن أن يتم إطلاقًا لماذا؟ لأن الإنسان هو إنسان، والمجتمع هو مجتمع، والعادات هي عادات، تتغير العادات، تتغير الادعاءات، تتغير الأوهام، فإذًا هذه الطريقة التدرُّجية قائمةٌ إلى قيام الساعة، وهذه الحكمة التي استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم بلاغه بها، ينبغي أن تكون عند من يقوم بهذا الأمر على مدار الزمان والمكان والإنسان، سواءٌ كان مع مؤمنٍ أو مع كافر، حتى مع المؤمنين كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يتدرج معهم، فأمر التدرج لما جاء المدينة المعطّرة صلى الله وسلم وبارك عليه كيف كان يتعامل مع اليهود؟ كيف كان يتعامل مع المنافقين؟ كلها سننٌ قائمةٌ لا تتغيرُ إطلاقًا، فنحن مأمورون أن نأخذ هذا على أنه كما قلت عبارة عن نقلة نوعية في حياتنا، لنأخذ هذه السيرة لأجل أن تكون سبيلنا في تطبيقنا الحرفي لها، الحرفي لها ليس بمعنى أن نقوم بما قاموا به بنفس الطريقة بذاتها، إنما بفكرتها وفحواها ونضجها، وتتغير الوسائل بتغير الأزمان، فهم كان عندهم وسائلهم، فكان في الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله

تعالى عنه، واليوم في وسائل أخرى يمكن أن تُستعمل، لكن مع الحكمة والموعظة الحسنة إن شاء الله. جزاكم الله تعالى عنا خيرًا

سؤال من أحد الحضور: سيدي حضرتكم تحفظتم على مقولة أنه تكون الدعوة سرية، هل بمعنى أنه هي كانت معلومة لأهل مكة ولكن لم يجهر بها، يعني هل من أهل مكة مَن يعرفون دعوة الإسلام وإن الرسول صلى الله عليه وسلم هو نبي الله، وكانوا يجتمعون في دار الأرقم، هل كانوا يعلمون أهل مكة ولكن اصطلاحًا صاروا يطلقون عليها أنها المرحلة السرية؟

الجواب: يعني السرية، السرية بمعنى يستعمل الآن كثير من الشباب المسلمين كلمة السرية، وهي في المخابئ ليس كذلك، لأن الدعوة هذه التي نقولها يعني النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة ما أعلنها كما أعلنها فيما سيأتينا في الجهر، إنما كان يدعوا، وأشخاص دعوا كما لاحظتم، سمعتم الأشخاص الذين دعوا ومن بطون قريش كلها، ثم إنهم يعني يتحركون ويطوفون ويرون ويسمعون، فكانت فيها تحفظ، فيها عدم استفزاز، فيها عدم مواجهة، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أراد أن ينتخب من هؤلاء القبائل أولئك الأشخاص كما ذكرنا هذه القضية، فكلمة السرية لأنها تحمل كمصطلح تحمل كثيرًا من الأعباء، التي نحن بغنًى عنها، أما قضية أن نستعمل الحكمة في قضية الدعوة، بأن أقول الكلام الذي يناسب المقام والبلاغةُ، كما يعرِّف أهل البلاغة، هي مطابقة الكلام بمقتضى الحال، فهذه قضية تناسب، فهؤلاء يناسبهم هذا الكلام وبهذا القدر، وهؤلاء يناسبهم الكلام وبذلك القدر، فما يناسب هؤلاء بالإيجاز يناسب الآخرين بالتطويل، فلا يمكن أن نجعل الكل في مساحةٍ واحدة،

هي قضية كالطبيب لما يعطي أدوية، ويأتي بالناحية المرحلية فهي مراحل.

سؤال من أحد الحضور: سيدنا عمر ابن الخطاب عندما أسلم وقال للنبي ألسنا على الحق يا رسول الله؟ ولم نسكت عن الحق كما قال، فلا يعتبر أنهم كانوا في دعوة سرية؟

الجواب: يعني هذه القصة جرت كما جرت مع سعد، عندنا قصتين قصة عمر وقصة سعد، ما استطاعوا ينضبطوا، 3 سنوات عندنا قصتين، وهذا يدل أنه ممكن يصير عدم انضباط؟ نعم، لكنه قليل، هنا نرى بأن الغلبة بانضباط، سيدنا عمر في تلك اللحظات الصعبة المُرَّة بالنسبة له نفسيًا، يعني نتصور رجلًا جاء ليقتل الرسول عليه الصلاة والسلام ينقلب مؤمنًا وهو من هو في شخصيته، وأنا كيف والله أخفي إسلامي؟ نكون نحنا يعني هكذا متحفظين فلننطلق، هذه قضية قالها رضي الله تعالى عنه، سيدنا سعد يعني من كلمة من كلمة إلى تعبير إلى مضاربة أنا أهل المضاربة تعوا لهون، يعني زدتموها هذا قصده رضي الله تعالى عنه، فعندنا حادثتان، أما لو كانت القضية كثيرة، لذلك انضبطوا رضي الله تعالى عنهم، والعجيب أن الانضباط كان من هذه النوعية المُتغايرة، ما بين أبي بكرٍ، وما بين علي، وما بين الأرقم، وما بين خباب، يعني عينات عجيبة، وكلهم على نفس النغمة، ما في نشاز نغمةٌ مُتسقة، فإن شاء الله ربنا يكرمنا أن نكون متسقين مع حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم نرتشف

من ماءه العذب ومن ينبوعه الثَّرْ صلى الله وسلم وبارك عليه.

جزاكم الله خيرًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وشفيعنا وقرة أعيننا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم تب علينا يا مولانا إنك أنت التواب الرحيم اغفر لنا ذنوبنا أجمعين، اللهم إنا نسألك رضاك لا تشغلنا بسواك فرّحنا مولانا عند لقاك نسألك حبك وحبَّ من يحبك وحبَّ عملٍ يقربنا إلى حبك برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم امنُن علينا بصفاء المعرفة وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة وارزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك مقرونًا بعواف الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم برحمتك عُمَّنا واكفنا اللهم شرَّ ما أهمنا وأغمنا وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة جمعًا توفنا، اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، آت اللهم نفوسنا تقواها زكِّها أنت خير من زكَّاها أنت وليُّها ومولاها تعلم سرها ونجواها برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم يا ربنا

إنا نسألك أن تُجزل ثوابك وتُعظم أجركَ لمن جمعنا في هذا المكان الطاهر اللهم ربنا إنا نسألك أن تزيدهم من فضلك وأن تُعظم لهم الأجر يا أرحم الراحمين بارك لأخينا أبي اليمان وولدنا اليمان وأختنا أم اليمان ولهذه الأسرة الطاهرة بارك لهم يا رب وبارك عليهم واحفظهم من بين أيديهم ومن خلفهم برحمتك يا أكرم الأكرمين ولنا ولإخواننا الحاضرين والغائبين ولعباد الله الصالحين، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله صحبه أجمعين.